الفصل السادس

نحن والغرب: معادلة منقوصة!

- مصر والدائرة المتوسطية (حوار وشروط).
- هذا ما يفعله اللوبى اليهودى .. فماذا فعلنا نحن؟
- كاسك يا وطن.
- شياطين الأمس ملائكة اليوم.

obeikandl.com

obeikandl.com

مصر والدائرة المتوسطية.. حوار مشروط!

لقد كان عميد الأدب العربى (د.طه حسين) على حق عندما كتب ذات مرة يقول: "لماذا نخاف من البحر المتوسط، إنه بحرنا كما هو بحر الأوروبيين". ولعله كان يرد بذلك على أولئك المتوجسين من كل ما يأتى من دول الشمال من أفكار أو نظريات أو بشر.. وكان هؤلاء روجوا أن البحر المتوسط لم يحمل لنا عبر العصور سوى الاستعمار، والانتداب، والحروب الصليبية!

ولعل هذه القناعة التى كانت تملأ رأس عميد الأدب العربى هى التى دفعته دفعا إلى التحمس لثقافة حوض البحر المتوسط التى حاول أن يرصد ملامحها فى أكثر من مؤلف، لعل أبرزها كتاب "مستقبل الثقافة فى مصر" حيث ركز على أهمية حوار الضفتين، وعلى أن هذا البحر هو جسر اتصال، وليس حاجز انفصال..

وكلنا يعرف أن هذه الفكرة –تحديدا– أثارت لغطا قويا فى الأوساط الأكاديمية، لكن بقى مخزونا فى الذاكرة المصرية أن حوض البحر المتوسط هو فضاء حضارى (وثقافى) أكثر من أى شئ آخر، وأن مصر –من الناحية الجيواستراتيجية– وبروزها كدولة (وحكومة مركزية) عبر القرون تحتل موقعها كقاطرة لدول جنوب المتوسط فى مواجهة دول شمال المتوسط.. ولذلك كان طبيعيا أن تتكرس (كينونة) مصر فى قلب هذا التجمع الذى أخذ عبر العصور أشكالا مختلفة.. لعل أكثرها رواجا من الناحيتين السياسية والاقتصادية؛ مشاريع التعاون الأورومتوسطى التى يجسدها – بعمق – مشروع "عملية برشلونة" الذى انطلق فى عام ١٩٩٥ لإحياء – بشكل ما – جولات الحوار العربى – الأوروبى التى ظهرت عقب حرب أكتوبر ١٩٧٣، ثم تعثرت بعد ذلك..

المهم أن مصر احتفت بهذه المشاريع جميعا، وما كان لها أن تفعل غير ذلك باعتبار أنها معنية بمستقبل المنطقة والحوار مع دول الجوار حوارا يضمن التوافق لا التفريق والتكامل لا الانفصال أو الاستبعاد..

ومعلوم أن مصر التى تعتبر من العمد الأساسية للتعاون الأورومتوسطى والمؤسسين الفاعلين فى عملية برشلونة كانت – ولا تزال تحرص – على تقديم أفكار جديدة لتفعل دوائر هذا الحوار، وأحسب أن ذاكرة الوطن لا تزال تحتفظ بصولات وجولات لوزراء خارجية مصر أمثال د. عصمت عبد المجيد الذى وقف ذات مرة، فى أحد الاجتماعات التى احتضنتها مدينة مرسيليا فى جنوب فرنسا –يصحح مجموعة من الأخطاء التى جاءت على لسان عضوه فرنسية فى البرلمان الأوروبى، وأذكر – وقد كنت شاهد عيان – أن هذه السيدة صعدت على المنصة وقدمت اعتذارها لوزير خارجية مصر، وشكرته أن صحح لها أفكار كثيرة مغلوطة كانت تعرفها عن العرب والمسلمين فى جنوب المتوسط.. أما المعارك الوطنية والقومية التى قادها السيد عمرو موسى وقت شغله منصب وزير الخارجية. فكانت تتصدر الصحف الأوروبية خصوصا عندما رد على خافيير سولانا منسق السياسة الخارجية الأوروبية بشأن الفصل بين ما يحدث فى عملية السلام (مدا وجزرا) وما يحدث فى إطار عملية برشلونة، وأشهد أن صحيفة "ليبراسيون" الفرنسية كتبت وقتذاك فى صفحتها الأولى قول وزير خارجية مصر: إن أوروبا لا يجب ألا تظل فى مقعد المتفرج مدى الحياة!.. فى إشارة إلى أن دورها فى عملية السلام هو دور هامشى، بينما تريد أن تستأثر بالكعكة الاقتصادية عبر التعاون الأورومتوسطى..

.. وأحسب أن دور وزير الخارجية الحالى أحمد أبو الغيط يندرج فى الإطار نفسه، فكل تصريحاته الرنانة التى أكد فيها أن مصر ستتجاوب مع أية أفكار متوسطية، وستضع مشروع "الاتحاد من أجل المتوسط" ضمن أولويات بحثها ونقاشاتها، لكن لن يكون ذلك على حساب عملية برشلونة..

وأحسب أن هذا الموقف المصرى (الناضج جدا) قد انسجم مع الموقف الأوروبى العام الذى عبرت عنه – فى البداية – السيدة أنجيلا ميركل المستشارة الألمانية التى أصرت – باسم أوروبا – على ألا يلغى "الاتحاد من أجل المتوسط"عملية برشلونة.. ولذلك ليس من قبيل المبالغة القول إن الصورة الحالية

التى استقر عليها هذا المشروع الذى يحمل اسم الرئيس الفرنسى نيكولا ساركوزى قد شاركت فى رسمها مصر التى أراد لها الأوروبيون جميعا أن تقتسم رئاسة القمة الأولى للاتحاد من أجل المتوسط، وأن توافق بالإجماع على اقتراح مصر باستضافة القمة الثانية المقرر انعقادها فى ٢٠١٠.

.. وللإنصاف يجب أن نذكر أن مصر – من منطلق استراتيجيتها بضرورة التعامل بإيجابية مع أية أفكار تدعو للشراكة – كانت حريصة على أن يظهر العرب فى هذه القمة فى صورة صف واحد وليس صفوفا، صحيح قد تكون هناك مكتسبات صغيرة تريدها كل دولة، لكن هذا لا يجب ألا يلغى المكتسبات المشتركة.. ولعل حرص مصر على التئام اجتماع وزارى عربى عشية انعقاد القمة فى باريس كان بهدف الخروج برؤية عربية موحدة لتكون فى مواجهة الرؤية الأوروبية الموحدة..

.. وليس من شك فى أن مصر لا تميل إلى فكرة إحداث قطيعة من نوع ما بين المحورين السياسى والاقتصادى اقتناعا منها باستحالة الحديث عن استقرار اقتصادى، وتبادل تجارى، وازدهار تنموى بين الضفتين ما لم يوضع حد للتوترات التى تتولد عنقوديا فى جنوب المتوسط من القضية الكبرى (قضية فلسطين)..

.. ولذلك لم تتردد مصر – فى أكثر من مناسبة – من تسجيل تحفظاتها على (تغييب) المحور السياسى سواء فى عملية برشلونة أو فيما يعرف – بعد ذلك – بسياسة الجوار أو حوار (٥+٥) الذى حاولت به أوروبا أن تفر – عبره – من أتون الخلافات المحتدمة بسبب الصراع الفلسطينى – الإسرائيلى..

.. وظلت مصر مخلصة لهذا المبدأ (ومتمسكة به) فوضعته على رأس نقاشاتها فى قمة "الاتحاد من أجل المتوسط" رغم أن الأجندة الأوروبية سعت إلى تنحية المحور السياسى (وتحديدا عملية السلام) جانبا بدعوى أن هناك أطرا أخرى تستوعب هذه القضية بكل جوانبها وتشعباتها..

.. ولقد عبرت مصر عن ذلك بتصريحات تنفى فيها أن يكون مشروع الاتحاد من

أجل المتوسط (قطارا) تركبه إسرائيل باتجاه التطبيع المجانى مع العرب.. كما رفضت أن يكون هذا المشروع (ضربة) فى خاصرة مبادرة السلام العربية التى أقرتها قمة بيروت عام ٢٠٠٢، وأعادت قمة دمشق ٢٠٠٨ التذكير بها، ومطالبة إسرائيل بالرد عليها وهى المبادرة التى تنطلق نحو السلام العادل والشامل تأسيسا على مبدأ مقايضة الأرض بالسلام..

.. ويبقى أخيرا أن نذكر أن الاهتمام بالبيئة المتوسطة وتنقية الفضاء المتوسطى من التلوث، وتأمين الطاقة الحيوية للضفتين ثم تقوية الصلات الثقافية والعلمية من خلال إنشاء تنموى وعلمى وأكاديمى.. ثم ضبط الحدود وحمايتها من المتسللين فى جوف الليل باتجاه الشواطئ الأوروبية (فيما يعرف بالهجرة السرية)..

أقول إن كل هذه المشاريع – التى يبدو من ظاهرها على الأقل – أنها تخدم الدول المشاطئة للبحر المتوسط شمالا وجنوبا، لا يجب ألا تلغى مشاريع الأمن والاستقرار وفرض السلام الذى – سيكون بالضرورة – العقبة الأساسية نحو رخاء وازدهار منطقة حوض المتوسط..

وقديما كان الاختلاف بين أوروبا والعرب أنهما لا يريدان الشئ نفسه، فأوروبا ترمى –عبر كافة أشكال التعاون– إلى دعم مشاريعها الاقتصادية والتصديرية والاستثمارية، بينما يريد العرب دعم أوروبا لهم ولقضاياهم فى المحافل الدولية.. وأحسب أن قمة "الاتحاد من أجل المتوسط" إذا نجحت فى التقريب بين ما يريده العرب وما يريده الأوروبيون، فسيكون ذلك إنجازا مهما لدفع مسيرة حوار الضفتين..

وأخيرا من إيجابيات فكرة "الاتحاد من أجل المتوسط" أنها الفكرة الأولى –على وجه اليقين– التى لم يصفق لها العرب منذ الإعلان عنها، وإنما تم تناولها بكثير من النقد والتشريح.. وليس من شك فى أن ذلك يعتبر مظهرا لتعافى العقل السياسى العربى الذى كثيرا ما كان معلولا..

• هذا ما يفعله "اللوبى اليهودى".. فماذا فعلنا نحن؟!

.. فى اعتقادى أن المواطن المصرى العادى يتسرب إليه الملل فى كل مرة يقرأ فيها أن اللوبى اليهودى هو الذى يقف وراء المواقف المعادية لنا فى الخارج ومنطقه هو التالى: "إن إسرائيل لا تحمل لنا سوى الضغينة، ولن تنس هزيمتها فى عام ١٩٧٣ ولذلك تضمر لنا كل أنواع الشرور، وهى تستخدم جالياتها فى أوروبا وأمريكا لتجييش العالم ضدنا.. لكن ماذا فعلنا نحن فى مقابل ذلك.. لم يعد يكفى تشخيص الداء خصوصاً أن الصغير قبل الكبير وعبر جميع الأجيال يعرفه ويحفظه عن ظهر قلب: نريد دواء لهذا الداء"..

وأحسب "أن هذا المنطق الذى يحكم هذا المواطن هو منطق سهل وواضح لا لبس فيه ولا غموض.. فإسرائيل توجه لنا -فى مصر- اتهامات لا حصر لها، فهى ترانا مقصرين فى حراسة حدودها الشرقية، وتصر على أن تنظر إلينا (كشرطى) مطلوب منه أن يحرس حدودها، ولا يسمح بمرور ذبابة من فوق الأرض أو تحتها.. وأثارت -ولا تزال- عبر قنواتها (الخفية والمعلنة) قضية ضبط الحدود فى الكونجرس الأمريكى، وفى البرلمان الأوروبى.. وتحدثت وزيرة خارجيتها فى صفاقة عن أن مصر لم تقحم (بالهوم وورك) الخاص بها..

وغاب عن بال هذه السيدة -التى لم تتعلم بعد اللغة الدبلوماسية- "أن مصر ليست شرطيا لأحد، وأن الأمن القومى المصرى (وليس الإسرائيلى) هو مسئولية مصر حكومة وشعباً ثم هناك اتفاقية تحكم هذه الحدود (هى اتفاقية كامب ديفيد) التى تنظم الوجود العسكرى وآلياته المختلفة.. ولئن كانت إسرائيل تتصور أن مصر يمكن أن تشاركها فى مؤامرة قتل الفلسطينيين جوعاً.. فهذا وهم لأن لمصر التزامات وطنية وقومية، ولم يُعرف عنها لا فى القديم ولا فى الحديث أن قفلت شيئا مُشيناً كهذا ضد أى شعب عربى..

ولقد ظلت القاهرة تُعلن بأعلى صوت للقوى الإقليمية والعالمية إن أى حديث

عن عنف أو إرهاب لن ينتهى إلا بانتهاء المشكلة الفلسطينية.. وسواء ادعت إسرائيل أنها انسحبت من غزة (وتوهم البعض بأن ذلك يُعتبر انتصاراً) أو أنها لا ترى ممثلاً للفلسطينيين محمود عباس إلا أن واقع الحال يؤكد أن سكان غزة فلسطينيون أيضا أن المليون ونصف المليون الذين يعيشون فيها لن يقبلوا الموت جوعاً.

.. إن إسرائيل هى المسئولة الأولى عن إجهاض مفاوضات ما بعد أنا بوليس التى ما كادت تلتئم حتى توقفت ويُخشى أن تصبح أثراً بعد عين.. .. إن أحداً لا يقبل أن تتحول غزة إلى سجن كبير بلا ماء أو دواء أو كهرباء، ناهيك عن الحمم التى تسقط من سمائه والدبابات التى لا تفرق بين "حجر وشجر وبشر" وهى تتجول فى شوارع وطرقات غزة..

.. لقد افتضح أمر أنا بوليس التى غضب الأمريكان عندما تحفظت مصر على هذا المؤتمر قبيل انعقاده وذكرت أن اجتماعاً دوليا لم يضع لنفسه خطة أو برنامج، ولم يتفق فيه الطرفان على القضايا العالقة بينهما.. سيكون اجتماعا محكوم عليه بالفشل.. لكن واقع الحال أن حصاد هذا المؤتمر المزعوم ليس إلا حمماً وقذائف تسقط على الفلسطينيين فى غزة فى جوف الليل وفى الظلام الدامس ومن قبيل ذرّ الدمار فى العيون انعقد فى باريس مؤتمر أطلق على نفسه مؤتمر المانحين قرر -على الورق فقط- نحو ٧.٣ مليار دولار للفلسطينيين.. وكان علينا أن نفرح ونقيم الأهازيج، مع أن دولاراً واحدا لم يصل إلى الفلسطينيين حتى يومنا..

الثابت عملاً أن أنا بوليس لم يكن إلا مؤامرة أمريكية - أوروبية الهدف منها إعطاء إسرائيل غطاءاً دوليا لكى تقوم بالمجازر فى حق الشعب الفلسطينى وتمارس إبادتها الجماعية له.. وهو ما يحدث حالياً.. فالـ٨٥ دولة وهيئة دولية التى شاركت فى أنا بوليس تبدو وكأنها قد غُرر بها فالدماء البريئة التى تسيل فى فلسطين المحتلة قد شارك الجميع فى سفكها وليست فقط إسرائيل..

.. ولأن ومصر قد وضعت ملاحظاتها على المؤتمر منذ البداية، ولأنها متهمة بغض الطرف عن الأنفاق، وتسريب أسلحة إلى الفلسطينيين.. ولأنها سمحت للحجاج الفلسطينيين بالعودة إلى بلدهم من معبر رفح ولأنها لم تشارك إسرائيل الرأى فى أن هؤلاء مجرمون وليسوا حُجاجاً، ويحملون أسلحة وليس مسابح وتراتيل.. فكان لابد من التشهير بها، واستخدام اللوبى اليهودى للضغط على الكونجرس بتعليق ١٠٠ مليون دولار من المساعدات الأمريكية لمصر.. والبرلمان الأوروبى لإزعاج مصر. وغاب عن بال إسرائيل واللوبى اليهودى وأعضاء الكونجرس أن هذه المساعدات الأمريكية لا تقدم لمصر من أجل سواد عيون المصريين وإنما كواحد من بنود اتفاقية كامب ديفيد .. فأمريكا التى أرادت أن تكون راعية للسلام، واحتضنت مباحثات كامب ديفيد والتزمت كطرف كما التزم الآخرون، وعليها أن تفى بالتزاماتها.. وبالتالى فليس من حقها أن تتحلل من هذا الالتزام الذى يحصل عليه المصريون كحق منصوص عليه فى الاتفاقية ولا يمكن اعتباره (منا ولا سلوى!).

ثم هناك موقف مصرى آخر أغضب أمريكا وإسرائيل ويتعلق بإيران، فالرئيس الأمريكى جاء لاستعداء المنطقة ضد طهران.. وغاب عن بال الجميع أن مصر لا تستقى مواقفها من أحد، وإنما هذه المواقف تُمليها المصلحة القومية للشعب المصرى.. ناهيك عن أن زمن الحروب بالوكالة قد ولى وانتهى كما أن الواقعية السياسية التى تعيشها مصر اليوم تجعلها شديدة العقلانية فى قراراتها خصوصا إذا كانت قرارات مصيرية..

صحيح أن مصر اختارت استراتيجية السلام منذ زمن، لكن هذا لا يعنى استكانة أو خنوع من أى نوع، فالدبلوماسية المصرية لها أنياب وأظافر كما أن جيش مصر وقواتها المسلحة، على استعداد للمواجهة وصد العدوان والقصاص لكرامة مصر، إذا ما استلزم الأمر ذلك..

- يبقى أن نذكر أن هذه التعقيدات فى المشهد السياسى فى منطقة الشرق الأوسط لا يجب أن تحجب عنا ما يراه المواطن المصرى العادى من تقصير.. فاللوبى اليهودى لا يجب أن يكون شماعة نعلق عليها احباطاتنا.. وسؤاله الذى يبحث عن إجابة: ماذا فعلنا للرد على هذا اللوبى النافذ؟

- نريد أفعالاً لا صراخاً!

obeikandl.com

كاسك يا وطن!

.. أينما تولى وجهك ستجد الكوارث تنهال على منطقتنا من كل حدب وصوب.. وحكوماتنا (العربية) صامتة كالقبور، وكأن ما يحدث للشعوب التى يفتك بها الفقر، وتحصدها الأوبئة (من كل لون وجنس) وتصطادها رصاصات العدو فيسقط أفرادها (كالذباب).. أقول كأن ما يحدث لا يحدث.. أو على أقصى تقدير يحدث ولكن فى مناطق أخرى ليس من بينها منطقتنا العربية.

.. تحولت (غزة) إلى سجن كبير، بعد إغلاق المعابر، وقطع الكهرباء، ومنع دخول الغذاء أو المساعدات أو الأدوية، بينما تهطل السماء بقنابل إسرائيل فلا يجد الشعب العربى الفلسطينى فى غزة (المنكوبة) براً يقيه ولا بحرٌ..

والعدو الإسرائيلى الذى له سفارات معلنة وخفية فى عدد من الدول العربية لا يلق بالاً بصرخات الفلسطينيين أو لنداءات الشجب والإدانة الصادرة من الجامعة العربية.. ولم لا؟ ألم تتخذ من مؤتمر أنابوليس ستاراً أو غطاءً دولياً عندما أقر بوجود فسطاطين.. فسطاط حرب وهو غزة ومعظم أبناء الشعب الفلسطينى، وفسطاط سلام وتمثله فتح ومحمود عباس ونفر من رفاقه..

.. وألم يقر الرئيس الأمريكى جورج دبليو بوش -أثناء جولته الميمونة فى المنطقة العربية والخليجية، خطة التخلص من سكان غزة بدعوى أنهم يؤيدون حماس.. ..نعم الشعب الفلسطينى يموت ألف مرة فى اليوم، إن لم يكن بالتجويع، والحصار والتعذيب فبرصاص البنادق التى تغتال القادة، وتصطاد الأطفال والشباب كالعصافير..

والمجتمع الدولى -الجميل اللذيذ- يرقب من ثقب الباب وقلبه يرقص فرحاً.. وأمريكا (سيدة العالم) تعزف على قيثارة الموت والقادة العرب يخفون وجوههم خجلاً.. ويتوارون وراء (الميديا) التى تملأ الد ضجيجا وعجيجا لتبييض الوجوه الكالحة!

.. ويموت الفلسطينيون الذين عزّ عليهم أن يجدوا الدواء والعلاج أو الحجارة -مجرد حجارة- للدفاع عن النفس!

- وإذا يممنا وجوهنا شطر لبنان -سويسرا العرب فى الأيام الخوالى- وجدنا السيد عمرو موسى أمين عام بيت العرب يطوى أحزانه فى صدره قافلاً من دمشق، ومتجهاً إلى بيروت.. وحده يلعق الأوجاع علّها تخف! ويهرب منه قادة لبنان (الأشاوس) الذين فرضوا أنفسهم بقوة السيف والمال زعماء لبلاد الأرز.. جميعهم متاجر بالوطن، وبالشعب، .. جميعهم أشبه بالمرتزقة الذين يعملون لحساب قوى أخرى وعواصم أخرى.. والفراغ السياسى فى (قصر بعبدا) يتمطى ويتمدد حتى يشمل كل البقاع مكرساً حالة غير مسبوقة من الانسداد فى كافة مناحى الحياة..

صحيح أن عمرو موسى يتحدث - أدبا ودبلوماسية- عن باب مُغلق لكن الحقيقة التى يعلمها -ويتعمد أن تخطيها - هى أن الطريق بكل أبوابه مُغلق ولا مجال لأى شئ آخر.. وما لم يدركه الرجل أن زعماء لبنان يتمترسون وراء جدران بيوتهم أو بالأحرى قلاعهم هازئين من سذاجته.. فلبنان أصبح لبنانات كثيرة، (والزعران) وحدهم هم أصحاب الكلمة..

ولم تغن مبادرة عربية، أو أجنبية، وحالة التدويل التى يتشدقون برفضها آتية لا ريب فيها.. أما لغة الحوار فلن تكون -بعد اليوم- سوى لغة الزناد الذى سيضغط عليه الضاغطون لتنطلق الرصاصات فتملأ سماء وأرض لبنان بالدخان والسواد، والدم الأحمر، والجثث التى تسد الطرقات.. لتعود (صورة مقيتة) تختزنها الذاكرة العربية لهذا البلد الذى لطالما خدعونا بقولهم أنه بلد الحرية والرأى والديمقراطية..

.. ليتنا نبادر بالتقاط الصور الأخيرة لوحدة لبنان التى كانت فالطريق بات ممهداً للتجزئة والتشرذم والتقزيم.. ولا عزاء للعرب الميامين الذين تركوا لبنان تضيع كالماء من بين الأصابع!.

.. وليس بعيداً عن فلسطين المسلوبة، ولبنان المتآمر عليها، سنجد رائحة القتل

واللصوصية، والعربدة الدولية تأتينا من ناحية بلاد الرافدين – العراق الحزين الذى احتلته قوى الأمريكان الغاشمة، وادعت أنها إنما تقيم للديمقراطية قصراً، والصحيح أنها ملأت الدنيا ظلماً، وتعذيب الشعب العراقى فى سجن أبو غريب، واعتقلت من أرادت فى جوانتانامو، ولا تزال تتحدث بملء الفيه عن حقوق الإنسان، واحترام القانون، وإقامة الديمقراطية..

إنه العبث الأمريكى الفاضح الذى كشف أنياب بوش الابن الذى زار المنطقة فى جولة رقص فيها (التانجو) حاملاً السيوف العربية بينما أطفال العراق يموتون جوعاً وشباب العراق ينكل بهم، ويداسون بالأقدام.. أما المصلون فى مساجد بغداد والبصرة، فرصاص الغدر الأمريكى يحصدهم حصداً..والعرب متفائلون، ومبتهجون.. ناسون أن العراق لم يعد عراقا، وإنما أصبح جحيما يحرق شعبه، وستمتد ألسنة النيران لتحرق الشعوب المجاورة .

.. وبوش الابن يسعد بطعم القهوة العربية، وبرؤية الخيول، والصحراء المترامية. ويداعب خياله أنه حتماً سيحكم العالم من منطقة النفط العربية.

.. وكان طبيعيا أن تتواصل حلقات الكذب والخداع ومنها استخدام إيران فزاعة تجعل أهل الخليج يهرعون إلى مصانع السلاح والطائرات فى أمريكا وفرنسا.. يطالبون بالمزيد.. فيزول شبح الكساد عن الاقتصاد الغربى (الأمريكى والأوروبى) بينما لا يجد أبناء الوطن العربى طعاماً يسدون به رمقهم أو ماءً يطفئون به غائلة العطش..

.. ضاعت العراق التى أصبحت ثلاثة عراقات: فى الشمال وفى الجنوب وفى الوسط. وخرجت بلاد الرافدين من العرين العربى، وأعيد الدستور –الذى وضعه الأمريكان– التقسيم والتشرذم وكرسى الطائفية الدينية، ..كما سلح قائد القوات الأمريكية هناك القبائل، وحول ضواحى بغداد إلى ثكنات عسكرية قتالية للشيعة والسنة والأكراد، ليقتل بعضهم بعضا.. وهكذا يطرب العرب وهم يستمعون إلى

الأنباء الواردة من العراق تفيد بأن العشرات بل المئات يُقتلون بدم بارد.

.. وإذا حولنا النظر ناحية السودان، وجنوبه، ودارفور، وكردفان لوجدنا خفقان القلب يزداد خوفاً على شبح التقسيم الذى سيحول السودان -عمق مصر الاستراتيجى- إلى ألف سودان..

وماذا عسانا نقول وقد امتلأ الفم بالمرارة التى نشربها فى كأس الوطن!

obeikandl.com

شياطين الأمس ملائكة اليوم!

.. أقسم أننا لو قمنا "بتحليل مضمون" لجملة التصريحات التى أطلقها السيد خافيير سولانا الممثل الأعلى للسياستين الخارجية والأمنية الأوربية منذ شغل هذا الموقع وحتى الآن لوجدنا أنها فارغة من المعنى خصوصاً فيما يتعلق بقضايا الشرق الأوسط فلسطين والعراق ولبنان وسوريا وهلم جرا..

المعروف أن سولانا كان يشغل –قبلاً– موقع أمين عام حلف شمال الأطلسى (الناتو) وكما يقول عالم الاجتماع السياسى الدكتور أنور عبد الملك – لو قلبنا فى صفحات التطهير العرقى ضد المسلمين فى البلقان لوجدنا أصابع سولانا تتحرك وراء أشباح الضحايا فى المقابر الجماعية التى حفرها الصرب للمسلمين فى كوسوفو وألبانيا تحت غطاء لهذا الحلف الميمون..

وأعجب المشاهد التى نراها فى هذه الحقبة أن يتحول الساسة من رجال حرب واستعداء وكراهية إلى رجال سلام ووئام وأمان.. والمثال الصارخ هو سولانا نفسه الذى يتحدث عن السلام فى الشرق الأوسط وعن قيام دولتين فلسطينية إلى جانب اليهودية، ناسيًا ملف التطهير العرقى الذى يتورط فيه ويعرف ذلك القاصى والدانى..

.. المثال الثانى هو السيد تونى بلير رئيس وزراء بريطانيا الأسبق الذى أمضى حياته تابعا للسياسة الأمريكية يأتمر بأمرها، وتصريحاته النارية ضد المنطقة، وسيره معصوب العينين وراء الرئيس جورج دبليو بوش الرئيس الأمريكى الأسبق لا تحتاج إلى دليل.. أما موقفه من حرب أمريكا على العراق، ومشاركة قواته فى هذه المؤامرة تظل لسنوات حديث الناس.. ثم تكون المفاجأة أن يعتلى بلير مقعداً جديداً هو رئاسة ما يُسمى باللجنة الرباعية التى لا مهمة لها –افتراضاً– سوى البحث عن سبل الأمن والاستقرار، وتقوية الركائز الاقتصادية للسلام فى الشرق الأوسط.. عجيب وغريب هذا الأمر.. فالساسة من أمثال سولانا وبلير يبدون وكأنهم

كومبارس ردئ، يقوم بتمثيل ما يُطلب منه (حرباً أو سلاما..).. وعلينا أن نصدق فى الحالتين..

لكن نسى هؤلاء أن قلوبنا لا يمكن أن تكون رهن هذه الأوامر.. فنحن مع سولانا كأمين عام لحلف الناتو وكمسئول عن المجازر ضد مسلمى البلقان نشعر تجاهه بكراهية شديدة، وكذلك الحال مع تونى بلير الذى كان يبرر الكوارث الأمريكية فى العراق على طول الخط..

.. وفى إطار هذه المسرحية التى بقى منها نفس الأشخاص لكن تبدلت مواقعهم، وتغيرت الأدوار المطلوبة منهم.. يكون علينا أن ننسى صفحاتهم السوداء، وأن نفرغ قلوبنا من الكراهية لنملأها بالمحبة، والشعور بالامتنان..

فالسيد سولانا -أمد الله فى عمره- يزور منطقة الشرق الأوسط بشكل مكوكى، ويردد حديثا معسولاً (حلو المذاق) عن الهدوء، والحقوق الفلسطينية المشروعة.. وكذلك تونى بلير الذى تبدل وانتقل من مربع الشيطان إلى مربع الملاك، وشرع يتحدث عن تخفيف المعاناة عن كاهل الفلسطينيين، وتقديم الدعم الاقتصادى، والمالى، والاهتمام بالبنى التحتية فى الأراضى الفلسطينية المحتلة..

يا إلهى: الفم الذى لطالما أرغى وأزبد وتوعد هو ذاته الفم الذى يذوب رقة وعطفا وحنانا وأقول ثانية: علينا أن نصدق، ونفرك أعيننا بقوة لكى نستوضح الصورة: صورة الملاكين: سولانا وبلير..

الجانب الآخر من هذه المسرحية العبثية يشرحها السؤال التالى: ما هى جدوى التصريحات التى يطلقها هذان الملاكان؟

والإجابة أنه لا جدوى، والحصاد يكاد يكون صفراً، فالسيد سولانا يهبط إلى المنطقة صيفا وشتاءً ويلتقى بمن يلتقى، ويصّرح بما جاد به العقل والقلب.. ثم لا شئ يحدث.. هكذا تريد المسرحية، وما عليه سوى أن يقوم بالدور المنوط به.

..فدراسة أو تحليل المضمون لتصريحات سولانا الذى أشرت إليه فى بداية حديثى تؤكد للأعمى والأعشى والبصير على السواء أن هذه التصريحات تشتمل على مجموعة من الألفاظ والمترادفات الفارغة من المعنى، لأن القاعدة المنطقية المعروفة هى أن المصطلح أو المفهوم الذى لا وجود له فى أرض الواقع يصبح لغواً. كأن تتحدث عن فيل أبيض.. أو عن العنقاء فلا هذا له وجود، ولا ذاك، ومن ثم يصبح الحديث عن هذا الفيل، وتلك العنقاء لغواً..

.. فمثلاً السيد تونى بلير – رئيس اللجنة الرباعية التى تضم أمريكا وروسيا إلى جانب الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبى معنى بشكل أساسى بالنهوض اقتصاديا بالشعب الفلسطينى.. هذا ما يقال ويتردد.. لكن على الوجه الآخر يموت الشعب الفلسطينى فى غزة جوعاً بعد الحصار القاتل الذى تفرضه إسرائيل على سكان غزة.. فأين بلير، ولجنته الرباعية.. واقع الحال يؤكد أنه لا وجود لهما.. بل طوال أسابيع الحصار القاتل لم نسمع للسيد بلير صوتا، وكأنه تشرنق وحبس نفسه فى جبل الجليد (فلا حس ولا خبر!).

المؤسف أننا –فى المنطقة العربية– لا نزال نصدق أن للسيد سولانا وزميله تونى بلير دورين فى عملية السلام.. ونسينا أن حالهما ينطبق عليه القول:

نسمع جعجعة ولا نرى طحناً!!..

obeikandl.com